

# شبكة الطبيعيين الوجوديين - سلسلة الرسائل الفلسفية مقدمة في الفلسفة

Enki Sumerian

Birkbeck – University of London

20/Jan/2010

## ماهي الفلسفة

ربما تكون قد سمعت عبارة: فلان يتفلسف. يقولها احدهم او مثلاً: كفت عن التفلسف. نحن نستخدم الفعل تفلسفَ وفلسفة في حياتنا اليومية بمعنى سلبي. فمن يتحدث حديث فارغ لا فائدة منه نسمي كلامه فلسفة. أضف الى هذا ان النجاح الكبير في الحصول على المعلومات الذي حققته الطريقة العلمية الحديثة انزل الفلسفة من عليائها واخرجها من دورها المركزي الذي كانت تلعبه ايام اليونانيين. اصحبت فروع العلم في زماننا كثيرة ومتشعبة وفيها من العلوم والمعارف ما يغنينا عن اجابات الفلاسفة التي بالغالb تكون مبسطة قياساً بالنظريات العلمية المعقدة التي نسمع بها كل يوم. وفوق كل هذا، فكيف نتأكد من صحة كلام الفيلسوف؟ وأبهم نتبع وقد تعددت مدارس الفلاسفة واختلفوا فيما بينهم اشد الاختلاف؟ هل الفلسفة تستحق كل هذا العناء حتى نهتم بها وندرسها؟ وما الغاية من هذه الدراسة ونحن لدينا علومنا ووسائلنا العلمية ومختبراتنا الحديثة؟

ومما يزيد الطين بلأ ان الفلاسفة انفسهم اختلفوا في ماهية الفلسفة وفي اسباب دراستها. فمنهم من قال ان الفلسفة تبدأ حينما ينتهي العلم. لكن حينما نفكر في هذا الجواب ندرك للحال ضعفه، اذ ان الفيلسوف لا يختلف عن العالم المختبري في حاجته الى المعطيات لكي يحلل ويستنتج. بلا مقدمات لا يمكن للفيلسوف ان يتأمل ويلاحظ ويحلل ويستنتج. فاذا أمكن ان نجمع المقدمات من اجل تحليلها فلسفياً، فلم لا يكون للعلم نصيب في جمع نفس هذه المقدمات وتحليلها علمياً؟ فبعد كل شيء فنحن لدينا ترسانة هائلة من العلوم النظرية كمثال الفيزياء النظرية.

من الفلاسفة من قال ان الفلسفة مجالها بحث الاجابة عن الاسئلة الاولية التي لا يمكن تطبيق النظرية العلمية قبل ان نجيب عليها. فقبل ان اذهب الى المختبر والاحظ واسجل ملاحظاتي ينبغي ان اسأل نفسي: هل استطيع ان أثق بحواسي؟ هل ما اراه امامي على منضدة البحث حقيقي؟ هل انا اتوهم ما اشاهد؟ كيف استطيع ان اكون متأكد مما تخبرني به حواسي؟ بالتأكد لا يمكن اجراء تجربة علمية تستطيع بها ان تجيب على هذه الاسئلة، لانك في هذه التجربة لا بد ان تعتمد على حواسك وبهذا فانك تصاد على المطلوب. لانك ستعتمد على الحواس لاثبات ما يأتي من الحواس. لكن اذا كان هذا هو الحال فكيف ستستطيع الفلسفة ان تجيبنا على هذا السؤال؟ سلّمنا ان العلم عاجز عن هذا. فماهو السبيل الذي ستمكن الفلسفة عبره من اثبات صدق ما يرد الينا من الحواس او حتى عدم صدقه؟ كان ديكارت لايشكك في وجوده لانه يفكر وما دام يفكر فهو موجود. لكن هل فعلاً نستطيع عبر هذا ان نتأكد من وجودنا ونحقق ما عجز عنه العلم؟

تخيل لو ان دماغك يتضمن آلة تفكر عنك تم زرعها من قبل منظمة عالمية للسيطرة على الازهان (ليس هذا الا فرض لتقريب الصورة بطبيعة الحال) هذه الالة تولد الافكار عنك وتجعلك تعتقد انها افكارك انت. في هذه الحالة فان ما تظنه انت تفكيرك هو في الحقيقة افكار خارجية زرعت في ذهنك. فقول ديكارت: انا افكر، هو فرض غير مثبت. فأني لي ان اعرف انني انا الذي افكر؟ قد يكون ما اظنه انا تفكيري لا يعدو ان يكون وهم يتم توليده فيّ باستمرار. وعلى كل حال، اليس بعض الناس يفكر الاخرون عنهم؟

ثم يبدو لنا جلياً ان هناك مقدمة مخفية في كلام ديكارت، فاذا كانت حقيقة كوني مفكراً تدل على انني موجود فهذا يعني ان كل من يفكر موجود. وهذه هي المقدمة المخفية في استدلال ديكارت. ومن الجلي ان قولنا كل من يفكر...، معناه التفكير لا يوجد بلا مفكر كما لا توجد صفة بلا موصوف. وهذا هو عين المطلوب اثباته فالنتيجة موجودة في المقدمات.

اذاً، ما فائدة الفلسفة؟ لم ندرسها؟ وما اهميتها؟

-1-

## الفلسفة وعاء للمعرفة

ولدت في العراق، في بيت مسلم، على هذا تربيت وهكذا كان كل ما سمعت من اهلي، ومن صحبي، ومن مدرستي ومن وسائل الاعلام. تطبع فكري بمحدودية وجودي في هذا المكان بالذات وهذا الزمان بالذات. لكن الفلسفة منحنتي آلة زمن تجاوزت بها نطاق القيود الاجتماعية المحلية التي فُرِضت عليّ كما فُرِضت على كل انسان منا.

الفلسفة تمكننا من الاطلاع على نظريات المفكرين في كل زمان ومكان. عبر الفلسفة نستطيع ان نزور الاغريق، نستطيع ان نتعرف على افكار سقراط وافلاطون وارسطو. نستطيع ان نطلع على افكار الفلاسفة المسلمين في العصر الاسلامي الذهبي مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد. نستطيع ان نساfer في رحلة تطور الفكر الديني ونقرأ آراء القديس انسلم واوغسطين وتوما الاقويني. نستطيع ان نقرأ فلسفة القرن التاسع عشر، نستطيع ان نقارن بين افكار كارل ماركس وادم سميث وبين هيجل وشوبنهاور وجان جاك روسو.

الفلسفة سفر لافكار البشر في كل زمان ومكان. اذا اردت ان تتجاوز محدودية وجودك المكاني والزماني. اذا اردت ان تتخلص من الدوغما الفكرية التي اورثها مجتمعك فيك. فالفلسفة هي الباب لذلك. في الفلسفة تستطيع ان تتعرف على كيفية تطور الافكار عبر الزمان. ليس اسهل من ان تقرأ افكار الفلاسفة الالهيين حتى تتعرف على كيفية تطور الادلة على وجود اله او على الطريقة التي انتقدت فيها هذه الادلة.

## -2-

### الفلسفة نشاط

لكي تمارس الطب فانت تحتاج ان تدرس الطب. نحن لانسمح لشخص لم يدرس الطب ان يُفتي في الطب. ولانسمح لتلميذ الفيزياء ان يتحدث في الفيزياء. لكن الفلسفة مختلفة. انها ليست فقط اقوال الفلاسفة. بل هو نشاط دائم لطرح الاسئلة والتساؤلات وتحدي السائد. من هنا فالفلسفة بمتناول يد الجميع، فمعنى ان تكون فيلسوف هو ان تطرح الاسئلة وتتحدى السائد وتقلب المائدة بوجه الدوغما الموروثة. هذا النشاط هو ما نسميه فلسفة.

تذكر ان اهم حدث في تاريخ الفلسفة هو موت سقراط. كانت تهمة سقراط هو انه مشاغب يخرب عقول الشباب ويفسدها بما يطرحه من تحديات للسائد من افكار وايمانيات. اختار سقراط الموت لان الفلسفة كانت محور حياته، تلك الفلسفة التي تمثلت عنده بالنقد الدائم، بتحدي الموروث، بطرح الاسئلة الذي لا يصيبه الكلال.

## -3-

### الفلسفة تسير مع العلم

نسمع الكثير من المكتشفات العلمية كل يوم. بعضها غريب جداً الى درجة نجد انفسنا لانصدقها للوهلة الاولى. قبل فترة، ذكرت احدى الجرائد الاخبارية خبر تمكن فريق ابحاث بريطاني من قراءة الافكار. هذا الخبر دفعني الى قراءة البحث في احدى المجالات وكم تعجبت لما اكتشفت ان الجريدة الاخبارية تعتمد ان تتلاعب بالكلمات لكي تجعل الخبر مشوقاً يدفع القارئ الى قراءة المحتوى (وبالتالي شراء الجريدة طبعاً). هنا مثال عن كشف علمي تم وصفه بكلمات غير دقيقة.

في المنهج العلمي فان الفلسفة لاتسير قبل او بعد العلم، بل هي مع العلم. الفلسفة وظيفتها هي التحقق من ادعاءات العلماء. التحقق من دقة الالفاظ المستخدمة في وصف الكشف العلمي. التحقق من سلامة الاستنتاجات المبنية على الادلة التي يجمعها الباحث. على سبيل المثال، بعض المجالات الطبية لاتسمح للباحث ان يستدل في بحثه على ان المرض الفلاني سببه كذا وكذا. بل يفرض عليه ان يكتب ان النتائج تدل على وجود علاقة بين المرض الفلاني وبين كذا وكذا. هذه الدقة في التعبير جاءتنا عبر الفلسفة لانه مهما كان حجم العينات التي يبحثها الباحث فلا يمكن عبرها ان نستنتج وجود سببية بين امرين، إلا ما ندر.

## -4-

### الفلسفة فهم وادراك

لما سنقرأ الفلسفة ستجد ان الفلاسفة يختلفون فيما بينهم، حتى في تحديد موضوعات الفلسفة هناك اختلاف وحتى في اهدافها وتعريفها. ولن تجد جواب واحد شاف لتساؤلاتك. يسألني العديد من الأشخاص: هل فلسفياً الانسان مخير ام مسير؟ الفلسفة لاتعطيك جواب شاف على هذا السؤال ولكنها تساعدك على الفهم. على سبيل المثال بامكاننا ان نعرف ماهي الحدود التي يستطيع بها مدعي التخيير ان يثبت بها ما يدعيه؟ وماهي الحدود التي يستطيع بها مدعي التسيير ان يثبت بها ما يدعيه؟ ايضاً، نستطيع ان نتعمق في فهم معنى المعرفة. في فهم الحدود، ان وجدت، لما يمكن ان نعلمه او الطريقة التي بها نعلمه.

## مواضيع الفلسفة

سنأتي الى هذه الموضوعات في رسائل قادمة ولكن سنمر سريعاً عليها.

- 1- الفلسفة الالهية او الوجودية او الميتافيزيق **Metaphysics**: هذا الفرع من الفلسفة يبحث في فهم معنى الوجود ومعنى الواقع وما يتبع ذلك من اسئلة اساسية، مثل الزمان والمكان، العلية، القدر، حرية الارادة.
- 2- نظرية المعرفة **Epistemology**: تدور دراسة المعرفة حول سؤالين اساسيين، الاول هو: ماذا يمكننا ان نعرف، هل نستطيع ان نعرف اي شيء؟ وان كان نعم فما هي حدود ما يمكن ان نعرفه؟ والثاني هو: كيف نستطيع ان نتوصل الى معرفة ما يمكن ان نعرفه؟
- 3- فلسفة العقل **Philosophy of Mind**: ماهو العقل؟ ما علاقة العقل بالجسم؟ هل هما شيء واحد ام منفصلان؟ هل العقل مادي؟ هل يمكن ان يملك الكمبيوتر عقل او ذكاء؟ هل نستطيع ان نعرف الحالة العقلية للاخرين؟ او بماذا يفكر الاخرون؟
- 4- فلسفة الدين **Philosophy of Religion**: ماهو الفرق بين اللغة الدينية وبين اللغة اليومية للانسان؟ ما معنى الايمان؟ ماهو الاله؟ هل هناك ادلة على وجوده؟ ماهي المعجزات؟
- 5- الاخلاق **Ethics**: دراسة الاخلاق تقسم بالعادة الى ثلاث اقسام فرعية: ماهي الاخلاق؟ ماهو مصدرها؟ كيف نحدد الاخلاقي من غير الاخلاقي؟
- 6- فلسفة السياسة **Political Philosophy**: كيف نحكم؟ ماذا يتوجب علينا ان نفعل؟ هل هناك حقيقة لما نسميه مجتمع ام ان هناك فقط افراد؟ كيف نبني الحكومة؟ كيف نحقق العدالة؟
- 7- فلسفة اللغة **Philosophy of language**: دراسة اللغة فلسفياً يختلف عن دراسة اللغوي للغة. فالقواميس تعطينا المعنى العام للكلمة في زمان ومكان معين. لكن الفلسفة تحتاج الفاظ دقيقة، الفاظ ذات تعاريف محكمة مرتبطة بصورة متناغمة مع باقي الافكار والمفاهيم الاخرى. فلسفة اللغة تتناول اللغة بالتحليل وتبحث في الكيفيات التي ترتبط بها افكارنا ومفاهيمنا اللغوية مع بعضها. بالاضافة الى مواد اخرى.

وهناك فروع عديدة اخرى للفلسفة، فكما قلت لك ليس هناك شيء واحد يمكن ان نتفق عليه ونسميه فلسفة، وبعد كل هذا فهي نشاط دائم لطرح الاسئلة ومحاولة فهم المعضلات. وسنمر على الكثير منها في رسائل قادمة.

انكي 11/01/20